التمهيد

أولاً : المسعودى : حياته ومؤلفاته

١ – لقبه :

قال ابن شاكر عنه : هو على بن الحسين بن على ، أبو الحسن المسعودى ، المؤرخ ، من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كان أخباريا علاَّمة صاحب غرائب وملح ونوادر ، مات سنة ست وأربعين وثلثمائة من الهجرة[١] . وقال عنه شمس الدين الذهبى : «لقد كان أخباريا صاحب ملح ونوادر وعجائب وفنون ، وكان معتزليا ، عداده فى البغاددة ، ونزل بمصر مدة»[٢] . وذكره ابن حجر العسقلانى بقوله : والمسعودى صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ ، وقد ذكر فيه لنفسه عدة تصانيف ومشايخ ورحلة واسعة ، ومن تصانيفه : أخبار الزمان والأوسط والمروج والتنبيه ، وتصانيفه عزيزة إلا المروج فقد اشتهر[٣] .

وقال عنه السبكى : «من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أصله من بغداد ، وأقام بها زمانا ، وبمصر أكثر ، وكان أخبارياً مفتيًا . علاَّمة ، صاحب ملح ونوادر ، وقيل إنه كان معتزلى العقيدة ، مات سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين وثلاثمائة للهجرة»[٤] .

وقد نفى ياقوت الحموى فى معجمه ما ذكره ابن النديم من أن المسعودى نسبة إلى مسعودة ، وهى محلة ببغداد وراء المأمونية ، كما نفى أيضا أنه من أهل المغرب ، وقال ياقوت : إن المسعودى ذكر مكان مولده فى كتابه المروج ، فكيف يكون من أهل المغرب ؟[٥] » .

---

(١) فوات الوفيات والذيل عليها، ابن شاكر الكتبى، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ٣/ ١٢ - ١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبى ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط الأولى ، ١٩٨٣م ، جـ١٥ / ٥٦٩ .

(٣) لسان الميزان ، العسقلانى ، ط حيدر آباد الدكن ، ط الأولى ، ١٣٣٠ هـ ٤/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود الطناحى ، عبد الفتاح الحلو ، ط الحلبى ، ٣/ ٤٥٦٦ .

(٥) معجم الأدباء للحموى ، ط دار المأمون ، ١٩٣٦م ، جـ ١٣/ ٩٠ .

وقد ذكره ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» بقوله «في عام ٣٤٥ هـ تُوفِّي المسعودي المؤرخ صاحب مروج الذهب . وهو أبو الحسن علي بن أبي الحسين . رحل وطوّف في البلاد ، وحقّق في التاريخ مالم يحققه غيره ، وصنّف في أصول الدين وغيرها من العلوم . وقد صدّرها في صدر مروج الذهب.[١]

٢ - نشأته

وُلد المسعودي في سنه ٢٨٧ هـ ، ونشأ في بغداد ، في العصر العباسي الثاني في أواخر عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله ، في رحاب أسرة عربية وقد اهتمت أسرته بتعليمه وتثقيفه ، وقد كانت بغداد في ذلك الحين تعد مركزا من أعظم المراكز العلمية في العالم ، واشتهرت كذلك بمكتباتها وما حوته من تراث ، ولذا أتيحت للمسعودي الفرصة ليتلقى قسطاً وافراً من العلم والثقافة

أخذ المسعودي علمه عن أبي خليفة الجمحي ونفطويه وابن زبر القاضي، وكان من أشهر العلماء والشعراء الذين عاصرهم المسعودي : ابن أبي الدنيا والبحتري والمبرد وابن قتيبة، والبلاذري وأبو حنيفة الدينوري واليعقوبي وثابت بن قرة الحرّاني وابن المعتز وأحمد بن حنبل وثعلب والبزّار ومحمد بن نصر المروروزي والترمذي وابن شريح والجنيد والنسائي والجبائي والطبري والزجّاج والأخفش الصغير وأبي عوانة وقدامة بن جعفر وابن زكريا الطبيب[٢] .

٣- رحلاته :

ألمَّ المسعودي بألوان مختلفة من العلوم والثقافات فقد درس العلوم اللغوية والأدبية والفقهية ، كما ألمَّ بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة ، وتعلَّم كثيراً من اللغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية ، وأراد المسعودي أن يلتقي بالثقافات المختلفة وجهاً لوجه بعد أن التقى بها في متون الكتب وليلمس بنفسه صورا من حياة الشعوب ويرى ألواناً من الحضارات ، وكانت بغداد - عند رحيل المسعودي - تمر بفترة سياسية قلقة ، فقد اتسمت فترة العصر العباسي الثاني بسيطرة عناصر أجنبية على الخلفاء العباسيين ، واستئثارهم بالسلطة دون هؤلاء الخلفاء كما اتسمت بصراع الخلفاء أنفسهم بعضهم مع بعض ، فرأى المسعودي أن يرحل بعيداً عن هذه الاضطرابات السياسية حتى يكون أكثر حرية في تدوين تاريخ هؤلاء الخلفاء العباسيين ، وقد قام قبل رحيل المسعودي عن بغداد صراع حول الخلافة بين الخليفة المقتدر والخليفة المرتضى بالله [٣]

(١) شذرات الذهب . لابن العماد . مكتبة القدس ، القاهرة . ١٣٥٠ هـ ، ٢/ ٣٧١ .

(٢) المسعودي ، علي الخربوطلي . دار المعارف ، ١٩٨٠م . ص ٢١

(٣) المسعودي ، الخربوطلي ٢٤ .

وقد استفاد المسعودى من هذه الرحلات وجمع كثيرا من الحقائق التاريخية والجغرافية مما لم يسبق إليه ، الأمر الذى جعل كثيرا من الناس يعدونه مؤرخاً وجغرافيًا ورحَّالة[1] .

وقد بدأ المسعودى رحلاته فى سنة ٣٠٩ هـ ، فغادر بغداد متوجهاً إلى الأطراف الشرقية من الدولة العباسية ، فطاف ببلاد فارس وكرمان، واستقرَّ فترة فى اصطخر ، وفى السنة التالية ٣١٠ هـ، رحل إلى الهند وملتان والمنصورة ، ثم عطف على كنباية فصيمور ، واستقرَّ فترة فى بومباى ، ثم عاش فترة أخرى فى سرنديب (سريلانكا حاليا) ، ومن هناك ركب البحر مصاحباً بعض التجار إلى بلاد الصين ، وجاب المحيط الهندى وزار جزائره وموانيه وخاصة مداغسكر وزنجبار ، ثم عاد فى نهاية رحلته إلى عمان[2] .

أما الرحلة الثانية للمسعودى فكانت فى سنة ٣١٤ هـ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ، ثم رحل بعدها إلى بلاد الشام وفلسطين ، وفى سنة ٣٣٢ هـ رحل المسعودى إلى أنطاكية وزارثغور الشام ، ثم عاد إلى البصرة ، ولكنه عاود الرحيل إلى بلاد الشام ، واستقر فترة فى دمشق ، وأخذ المسعودى فى التنقل بين العراق والشام ومصر ، وشعر بحاجته إلى الاستقرار مرة ثانية فكانت نهاية المطاف فى مصر حيث استقر فى مدينة الفسطاط ، وكان قد أتم تأليف كتابه «مروج الذهب» فى الفسطاط سنة ٣٣٦ هـ ، بعد أن بدأ فى تأليفه سنة ٣٣٢ هـ .

وكانت مصر تمرُّ فى ذلك الوقت بفترة هدوء واستقرار ونهضة علمية وثقافية وذلك فى عصر كافور الإخشيدى ، وظل المسعودى بمدينة الفسطاط حتى مات بها سنة ٣٤٦ هـ .

٤ - صفاته الشخصية :

يستطيع الباحث فى كتب المسعودى أن يستنتج من بين سطور هذه الكتب صورا لبعض جوانبه النفسية والعقلية ، فالمسعودى صورة صادقة للوطنى المخلص ، الوفى لوطنه ، فبالرغم من أنه قضى أكثر من خمس وعشرين سنة فى تجوال دائم فإنه لم ينس موطنه الأصلى العراق ، ويؤكد ذلك قوله:

«ومن علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه ، وإن من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها توَّاقة»[3] .

---

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، مراجعة د. شوقى ضيف ، دار الهلال ، ١٩٥٧م ، جـ٢/ ٣٦٣

(٣) المسعودى ، للخربوطلى ، ص ٢٤ ، ٢٥

(٤) المروج : ٢/ ٦٦ .

ومن صفاته النفسية التى تتضح من خلال كتابه «المروج» ثقته بنفسه واعتزازه بما وصل إليه من علم ودراية عن طريق الرحلة والمغامرة ومالاقاه من أهوال ومصاعب ، ويؤكد ذلك بقوله : «وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نُمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسَّم عمره على قطع الأقطار ، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكمنه»[1] .

وبالرغم من اعتزازه بعلمه ودرايته فإنه يبدو فى كثير من صفحات كتبه متواضعاً مثل قوله : «على أنَّا نعتذر من تقصير إن كان ، ونتنصَّل من إغفال إن عرض»[2] .

وكان المسعودى بعيدا عن التيارات السياسية والمذهبية التى دفعت بعض المؤرخين إلى العصبية والشعوبية ، كما أمضى معظم حياته فى رحلات مستمرة فلم يقع تحت سيطرة حاكم أو أمير ، الأمر الذى قد يجعله يتملَّقه أو يتحامل عليه ، ويبدو أن حريته فى التنقل انعكست على كتاباته ، فقد أصبح حرا فى نقده التاريخى حتى أنه لم يجد حرجا فى انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له ووصفهم بالضعف وسيطرة الأتراك عليهم .

٥- طريقته فى التأليف من خلال كتابه المروج :

لم يتبع المسعودى سنة من سبقه من المؤرخين ، ولكنه وضع منهجا جديدا ، تأثر به كثير ممن جاء بعده ، وفى مقدمتهم ابن خلدون ، فقد حاد المسعودى عن طريقة الطبرى فى التأريخ بالسنين ، وقد أبرز ابن الأثير المؤرِّخ عيوب هذه الطريقة بقوله : «تأتى الحادثة مقطَّعة لا يحصل منها على غرض ، ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر»[3] .

أما اليعقوبى المؤرخ فقد قسَّم تاريخه تقسيما موضوعيا ، وجعل الشخصيات التاريخية أحيانا محورا لدراسته ، وحذا أبو حنيفة الدينورى حذو اليعقوبى فى كتابه «الأخبار الطوال» ، وقد اتبع المسعودى طريقة اليعقوبى ولكنه طورها وأضاف إليها من تجاربه وخبراته الكثير ، ومزج الدراسات التاريخية بالجغرافيا وفتح آفاقا جديدة فى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، واهتم بمعالم الحضارات المختلفة ، ولزم الطريقة الموضوعية وأصبحت الشعوب والملوك والأسرات والخلفاء محاور دراسته .

لم يتبع المسعودى طريقة السرد التاريخى بل اهتم بالتحليل التاريخى والبحث عن المسببات والدوافع ونقد الأحداث[4] ، ووصل بذلك إلى نتائج هامة وحذا ابن خلدون حذو المسعودى فى منهجه وزاد عليه ، مما جعل ابن خلدون يبرز على كثير من المؤرخين والمفكرين .

---

(١) المروج : ١/ ١٢ .
(٢) المروج : ٤/ ٣٨٧ .
(٣) الكامل فى التاريخ ، ط المنيرية ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٣٤٨ ، جـ١/ ٥ ، ٦٦ .
(٤) المسعودى : ص ٣١ .

ولم تكن رحلات المسعودى للنزهة أو التكسب ، بل كانت رحلته لمشاهدة معالم البلاد ومعرفة أخبارها ، وتدل كتبه على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والأدب والأخلاق والسياسة لهذه البلاد ، وعلى الرغم من أن المؤرخين يرجحون اعتناق المسعودى لمذهب المعتزلة[١] . فإننا لا نجد فى كتبه إشارة إلى هذا المذهب وربما يرجع ذلك إلى ميل المسعودى للحياد التام ، كما أنَّ مذهب المعتزلة كان قد بدأ فى التلاشى والاندثار مع بداية العصر العباسى الثانى[٢] .

لقد اعتمد المؤرخون ممن سبقوا المسعودى على الروايات عن السند ، وقد حاد المسعودى عن هذه الطريقة ، فكان يذكر الأخبار والأحداث من غير سند ، واكتفى بأن يذكر فى مقدمة كتابه من اعتمد عليهم من الرواة أو المصادر التاريخية لكتبه ، ولهذا نرى أنه جمع فى كتبه كثيرا من الأخبار التاريخية التى لم ترد فى الكتب التاريخية السابقة ، مما دعا بعض المؤرخين الذى جاءوا بعده إلى استبعادها وعدم التسليم بقبولها كقصة الخلق التى أوردها فى كتابه المروج[٣] .

ومن الأمور التى سبق إليها المسعودى أنه فى بداية كتابه المروج كتب دراسة نقدية مقارنة لمصادره التاريخية ، وهذه الطريقة التى استنَّها المسعودى مازال يتبعها المؤرخون المحدثون حينما يخصصون مقدمة دراستهم يتحدثون فيها عن مصادرهم وينقدونها ويقارنون بينها .

واعتمد المسعودى فى تأليفه على المشاهدة ، فقد كان مشاهدا عياناً لكل الأماكن والشعوب ، ولم يعتمد على الروايات السماعية التى اعتمد عليها من سبقه من المؤرخين ، بل عاب على المؤلفين الذى لم يعتمدوا على المشاهدة والمعاينة ، ومن بينهم الجاحظ ، وسنان بن قُرَّة ، فيقول عن الجاحظ :

«وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذى هو نهر السند من نيل مصر ، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل ؟ ، وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان ، وهو كتاب فى نهاية الغثاثة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر من الأسفار ولا تقرَّى المسالك والأمصار ، وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الورَّاقين»[٤] .

وبالرغم من ذلك فلم يسلم المسعودى من النقد فقد عاب عليه ابن خلدون ما ذكره عن قصة الإسكندر ، وعاب عليه أيضا حديثه عن مدينة النحاس التى صادفها موسى بن نصير فى فتوحه لبلاد

(١) طبقات الشافعية : ٣/٤٥٦ .
(٢) المسعودى : ٣٢ .
(٣) المروج : ١/٢٨ .
(٤) المروج : ١/٩٩ .

المغرب ، وذلك فى قوله : «وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة»[1] .

٦- المسعودى الجغرافى :

تحدث المسعودى عن رحلاته بطريقة موضوعية إقليمية ، فيقسم دراسته إلى موضوعات مستقلة يتحدث فى كل موضوع عن إقليم معين بعيدا عن الطريقة الزمنية، ولا يهتم بتتابع أخبار رحلاته أو الربط بينها ، وقد أشاد ابن خلدون برحلات المسعودى بالرغم من أنه جاء بعده بأربعمائة سنة ، فقال فى مقدمته : «فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أسٌّ للمؤرخ تنبنى عليه أكثر مقاصده ، وتتبين به أخباره ، وقد كان الناس يفردونه بالتأليف - كما فعل المسعودى - فى كتابه «مروج الذهب» شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده فى عصر الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً وذكر نحلهم وعوائدهم ، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم ، فصار إماما للمؤرخين يرجعون إليه وأصلا يعولون فى تحقيق الكثير من أخبارهم عليه»[2] .

ويمكن أن نعتبر المسعودى وقبله اليعقوبى هما أول من وضع أسس المدرسة العربية فى الدراسات الجغرافية[3] . وأهم ما يتميز به المسعودى عن غيره من الرحّالة أنه تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة للعالم الإسلامى فى عصره كما تميز حديثه عنهم بالدقة والعمق ، كما كان يدعم دراسته الجغرافية بجوانب تاريخية واجتماعية ودينية ويربط بين الزمان والمكان ، كما اهتمَّ بأثر البيئة الطبيعية فى صور وأخلاق البشر .

٧- مكانة المسعودى فى الدراسات الحديثة :

أشاد بالمسعودى كثير من الدارسين المحدثين ، فقد ذكره الزركلى فى الأعلام بقوله : «مؤرخ رحّالة ، من أهل بغداد ، قال عنه : فاريليف فى كتابه العرب والروم : إن المسعودى مما يقرأه المسلمون والأوربيون على السواء ويجدونه ممتعاً طلياً ، ولذا استحق لقب «هيرودوت العرب» وهو اللقب الذى أضافه عليه فون كريمر فى كتابه الثقافة فى الشرق»[4] .

وقال عنه د. فؤاد سزكين : «يعد المسعودى من المؤلفين ذوى الثقافة المتنوعة الذين عاشوا فى القرون الأولى للهجرة ولم يهتم بالجغرافيا والتاريخ فحسب ، بل اهتم بعلم الكلام والأخلاق

(١) المقدمة ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، لجنة البيان العربى ، ١٩٥٧م ، جـ١/ ٢٢٤ .
(٢) المقدمة ، ت وافى ، جـ١/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
(٣) المسعودى ، الخربوطلى ، ص ٣٧
(٤) الأعلام ، الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦م ، جـ٤/ ٢٧٧ .

والسياسة وعلوم اللغة ، وكان معظم جهده فى الجغرافيا والتاريخ ورغم أن الدقة والعمق لم تتوافر لديه فإننا ندين له بمجموعة من الأخبار القيِّمة حول البلاد الإسلامية وبمعلومات مهمة من مصادر مفقودة لانجدها إلا عند المسعودى»[1] . وتحدث عنه الأستاذ أحمد أمين فقال : وأما المسعودى فكان ذا منحى آخر يغاير منحى الطبرى ولكلٍّ فضل ، فألف لنا المسعودى كتابى مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، وضاعت له كتب كثيرة وهو ليس مؤرخا فقط بل هو مؤرخ وجغرافى معا ، ولم تكن أسفاره للنزهة بل كانت لمعرفة الأقطار وأخبارها ، ويدل كتابه مروج الذهب على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والأدب والأخلاق والسياسة ، ويمتاز المسعودى فى كتبه بالتفاته إلى الأمور الاجتماعية كبحثه فى ديانات العرب وآرائه فى الكيمياء والهواتف والقيان والزجر والسانح والبارح ومقارنته بين العرب والعجم ، وعند كل ملك يذكر طرفاً من أخباره الخاصة وسيرته الداخلية وملامحه وتقاطيع وجهه مما لا نجد له نظيراً فى الكتب الأخرى ، فهو مؤرخ مسلح بكثير من الوثائق التى تلزم المؤرخ[2] .

وقد اهتم المفكرون الغربيون بالمسعودى وإنتاجه العلمى ، فقاموا بترجمة كتبه إلى كثير من اللغات الأوربية ، وقال بعضهم عنه : إنه «بلينوس المشرق» وقال البعض الآخر عنه : إنه «هيرودوت الشرق» وقال عنه كاترمير : إذا ما نظر الإنسان إلى كتبه بُهت من تنوع المواد التى كتب فيها ومن كثرة المسائل المهمة العويصة التى حلَّها ، والحق أنه كان واسع الفضل فى الزمن الذى نبغ فيه لا لأنه قرأ جميع الكتب الخاصة بالعرب وتأمَّل فيها فقط بل لإحاطة مباحثه الواسعة بتاريخ اليونان والرومان وجميع أمم الشرق حديثها وقديمها أيضا»[3] . وقال عنه هاملتون جب : والمسعودى الذى تُوفِّى حوالى ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م من حقه أن يُعدَّ من أعظم المؤرخين العرب ، ولكن ضاع مؤلفاته الأصلية المسهبة التى لم يصلنا منها إلا مختصرات يجعل من العسير علينا أن نكوِّن فكرة دقيقة عن منهجه»[4] . وقد تحدَّث آدم متز عن جهود المسعودى فكان مما قال : «حمله حب الاستطلاع إلى بلاد بعيدة فى أفريقيا وفى الصين ، وتحدَّث فى كتبه التاريخية عن كثير مما لقيه من التجارب والمشاهدات فى أسفاره»[5] .

---

(١) تاريخ التراث العربى ، نقله إلى العربية د. محمود حجازى ، فهمى أبو الفضل ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤ .

(٢) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ط النهضة المصرية ، ط الخامسة ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ت عادل زعيتر ، ط عيسى الحلبى ، ١٩٦٩ ، ص ٤٥٣ .

(٤) دراسات فى حضارة الإسلام ، ت إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين ، ط ١٩٦٤ ، ص ١٥٥ .

(٥) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ت محمد عبد الهادى أبو ريدة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٧م ، جـ ٢/٤ .

٨- مؤلفات المسعودى :

وضع المسعودى عشرات الكتب التى حوت أخبار رحلاته وتجاربه ومشاهداته ، ولكن معظم مؤلفاته كان مآلها إلى الضياع ، ومن هذه الكتب التى ألّفها :

١- كتاب «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة ويُروى أن هذا الكتاب كان فى ثلاثين مجلدا ، وأدخل المؤلف مادة هذا الكتاب فى كتابه مروج الذهب والأوسط ، ولم تصل إلينا من كتابه «أخبار الزمان» إلا بعض المختصرات ، وأول مختصر له مجهول المؤلف ، وقد وُصف فى عدد من المخطوطات بأنه المجلد الأول من أصل الكتاب ، ووصفه كارل بروكلمان مرة باعتباره مختصرا وأخرى باعتباره المجلد الأول»[١] .

وهناك نسخة منه مُصوَّرة بدار الكتب المصرية بدون ذكر المؤلف ، وفى لوكنو نسخة منه فى المكتبة الخاصة بمحمد ناصر ، ونسخة فى معهد المخطوطات بالقاهرة تحت رقم ٨٧٢ ، وقد قام الأستاذ عبد الله الصاوى بتحقيق الكتاب وطبعه فى القاهرة سنة ١٩٣٨م ، ثم توالت طبعاته بهذا التحقيق .

٢- الكتاب الأوسط : وهو كتاب وسط بين كتاب أخبار الزمان ومروج الذهب ، وقد ضاع هذا الكتاب أيضاً ، ولكن فى مكتبة أكسفورد نسخة يرى البعض أنها هى كتاب الأوسط ، ويرى الباحثون أن هناك جزءا منه فى أياصوفيا[٢] .

٣- كتاب التنبيه والإشراف : لخَّص المسعودى فى هذا الكتاب آراءه فى فلسفة التاريخ ووصف صورا من الكون ، وتحدَّث عن تطور آراء الفلاسفة ، والعلاقة بين كل من الحيوان والنبات والمعدن وغيره ، وطُبع هذا الكتاب فى ليدن سنة ١٨٩٤م ، كما طبع فى القاهرة ونشره عبد الله الصاوى سنة ١٩٣٨م ، وقد عُنى بنشره المستشرق دى غويه وعلّق عليه ، وذيَّله بملاحظات كثيرة .

٤- كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» . لاشك أن هذا الكتاب من أعظم كتب المسعودى خاصة، ومن أبرز المصنفات العربية عامة[٣] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، ط الرابعة ، ١٩٧٨م ، جـ ٣/٥٦ - ٦٠ .

(٢) تاريخ التراث العربى ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٤٣ .

(٣) المسعودى ، الخربوطلى ، ص ٣٩ .

بـــدأ المسعودى كتابه بـ «باب ذكر جـوامع أغراض هذا الكتاب» وتناول فى هذا الباب الباعث له على تأليـــف هذا الكتـاب ، والمؤلفين الذين سبقوه فى هذا المـضمار وثناءه على الطبرى وقـدامة بن جعفر ونقده لـثابت بن قـرة ، ونهيه عـن التصرف فـى هـذا الكتاب وتخـويفه لمن فعل ذلك «فمن حـرَّف شيـئاً مـن معناه ، أو أزال ركنا من مبـناه أو طمس واضحة من معـالمه ، أو لبَّس شاهدة من تراجمه ، أو غـيّره ، أو بدّله ، أو أشانه ، أو اختصـره أو نسبه إلى غيرنا ، أو أضـافه إلى سوانا ، فوافاه من غضـب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يعجـز عنه صبره ، ويحار له فكره ، وجعله الله مثلة للعالمين ، وعبرة للمعتبـرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه»[1] . وفى الباب الثانى ذكر ما اشتمـل عليه كتابه من أبواب ، وفى الباب الثالث تناول بداية الخُلق.

ويمكننا تقسيم هذا الكتاب من الناحية الموضوعية إلى قسمين :

أ) القسم الأول : الخليقة وقـصص الأنبياء ، والبحار والأرض وما فيـها من العجائب وتواريخ الأمم القديمة من الـفرس واليونان والرومـان والعرب القـدماء وأديانهم وعاداتهم ومـذاهبهم والشـهور والتقاويم .

ب) القسم الثانى : البعثة النبوية والدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ إلى الخليفة المطيع لله سنة ٣٤٥ هـ .

وقد نال كتاب المروج اهتمام المفكّرين فى الشرق والغرب ، فقد ترجمه المستشرق باربيه دى مينار إلى اللغة الفرنـسية ، وطُبع الكتاب فى باريس سنة ١٨٧٣م بمراجـعة شارل بلاّ ، كما ترجم سـبرنجر الكتاب أيضا إلى اللـغة الإنجليزية ، وظهر الجزء الأول منه فى لندن سـنة ١٨٤١م ، ويوجد مخطوط منه فى برلين تحت رقم ٩٤٢٧ ، ونسخـة فى دار الكتب بالقاهرة تحت رقم (٢) ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣) ، وطُبع الكتـاب فى مجـلدين سنة ١٩٦٢م و ١٩٦٥م ، ثم طبع فى بولاق سنة ١٢٨٣هـ ، والقـاهرة ١٣٠٣ هـ ، وقد نشره وحققه الشيخ محمـد محيى الدين عبد الحميد فى القاهرة سنة ١٩٦٤م ، فى مجلدين ، ثم طبع فى بيـروت فى أربعة مجلدات بتحقـيق الشيخ محمد مـحيى الدين أيضا فى سنة ١٩٦٦م[2] ، وقد قام الدكتور مفيد قميحة بتحقيقه وطبعه فى لبنان سنة ١٩٨٠م .

٥- كتـاب «إثـبات الـوصية للإمـام علـى بن أبـى طالب» وطُبع هذا الكتـاب فى النجف بإيران سنة ١٩٥٥م .

(١) المروج : ١/ ١٨ .

(٢) تاريخ التراث العربى ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤ .

وهناك كتب أخرى للمؤلف مفقودة ، وهى :

١- فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف . ٢- ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهور . ٣- نظم الجواهر فى تدبير الممالك والعساكر . ٤- الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار . ٥- نظم الأعلام فى أصول الأحكام . ٦- نظم الأدلة فى أصول الملة . ٧- المسائل والعلل فى المذاهب والملل . ٨- خزائن الدين وسر العالمين . ٩- المقالات فى أصول الديانات . ١٠- سر الحياة . ١١- وصل المجالس . ١٢- الأخبار المسعوديات . ١٣- رسالة البيان فى أسماء الأئمة . ١٤- الإبانة فى أصول الديانة . ١٥- تقلُّب الدول وتغيير الآراء والملل . ١٦- الصفوة فى الإمامة . ١٧- مقاتل فرسان العجم . ١٨- الاستبصار فى الإمامة . ١٩- المبادئ والتراكيب . ٢٠- الرؤوس السبعة . ٢١- الزاهى . ٢٢- الدعاوى . ٢٣- الاسترجاع . ٢٤- مزاهر الأخبار وظرائف الآثار . ٢٥- الرؤيا والكمال . ٢٦- طب النفوس . ٢٧- حدائق الأذهان فى أخبار الرسول . ٢٨- الزلف . ٢٩- القضايا والتجارب . ٣٠- الواجب فى الفروض اللوازم . ٣١- الانتصار المفرد لفرق الخوارج[١] .

ثانياً : مفهوم الحضارة

١- مصطلح الحضارة :

عندما نطرح سؤال : ما مفهوم الحضارة ؟ سوف نجد تعدداً وتبايناً فى الإجابات ، ولمَّا كانت الحضارة خاصة بالإنسان وملازمة له ، ولأن الإنسان يتغير ويتطور بحسب الحقب الزمانية والمراحل التاريخية التى يمر بها بحيث لا يمكن القول بأن الإنسان هو هو فى كل العصور ، لذا فإن الإجابة عن سؤال : ما مفهوم الحضارة ؟ تختلف باختلاف الزمان والمكان الذى يُطرح فيه هذا السؤال .

وإذا أردنا أن نخلص إلى إجابة مقنعة ومواكبة للعصر الحالى فإنه يلزمنا أن نعرف معنى الحضارة فى اللغة أولا ، ثم نعرف مفهومها فى الاصطلاح بعد ذلك .

(١) المسعودى ، الخربوطلى ، ص ٤٢ ، ٤٣ ، أيضا تاريخ التراث العربى ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤